زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رتزفال اليسوعي

(تابع لما قبل)

١٥

اذا ما اعتمدنا على ما تقدّم من كلام القديس اثناسيوس وعوّلنا على الادلّة التاريخية المشفوعة به فسلّمنا ان زينب كانت على الاقلّ مستعدّةً للتديُّن بدين اليهود تُرى أيجوز القول بأنّها تهوّدت حقيقةً ومارست فرائض هذه الديانة ما دامت على عرش التدمريين ؟ نجيب كلّا فان الاكتشافات الحديثة تدحض هذا الزعم وتبطلهُ . كيف لا وترى في تدمر حتى في أيّامنا هذه عمودًا من اعمدة الرواق الاكبر مكتوبًا عليهِ باليونانية والتدمرية ان القائدين زبدا وزباي قد نصبا في ذلك المكان تمثالًا لملكتهما الجليلة كما فعلا لزوجها أذينة الثاني (١ ومن المقرّر ان ديانة اليهود تحرّم مثل هذه العادة . فكفى بذلك برهانًا على انّ ملكة تدمر لم تتمذهب بمذهب اليهود كما انّها لم تنتسب الى شيع النصارى المتهوّدين (chrétiens judaïsants) (٢ . وممّا يؤيّد صحة رأينا ان زينب التي ما برحت تفتخر بنسبتها الى اشهر ملكات المشرق لم تكن لو تديّنت بدين اليهود لتُهيل الانتساب الى باني تدمر سليمان الملك . وكان ذكر سليمان لم يبرح بعدُ شائعًا بين التدمريين والعرب والآراميين واليهود القاطنين بمامصتها او المتجوّلين في بادية الشأم

ولسائل ان يسأل فايّ ديانة اذًا اعتنقت سلطانة تدمر وايّ ملّة انتحلت . نقول على وجه الاجمال انّ في الامر غموضًا . وللمؤرّخين في ذلك آراء مختلفة مرجعها الى رأيين فان البعض يعتون بنصرانية زينب والبعض الآخرون وهم الاكثرون يزعمون انّها كانت من جملة الذين يعتقدون وجود الله تعالى مع انكارهم للوحي . وهو مذهب التوحيد (déisme) . امّا نحن فنرجّح رأي الاوّلين لانهُ اقرب الى الصواب ولنا في المسألة بعض

(١ V., n° 29 (٢ . وهذا رأي المؤرخين تاودوريتوس ونيقفور . (Niceph., *Hist.* VI, 47 ; Theodoret: *Hist.* II)

الشواهد التاريخية لسردها لمزيد الايضاح. الّا اننا لا نظنّ ان زنب صارت مسيحية محضة قبل خراب حاضرتها وجلائها عن الاوطان. فنقول:

ان الكتابات التدمرية التي ترأها المركيز دي ڤوكويه كثيرًا ما تُفتتح ببعض الفقر الدينية لاسيما ما ينتمي منها الى القرن الثاني (١ وهي تشبه صورة الصلوات المسيحية شبهًا عجيبًا مثالها: نقدّم هذا المذبح او هذا القبر «لمن استهُ مبارك الى الابد الرؤوف الرحوم». قال العلّامة الموماً اليه: كاني بهذه الكلمات تذكر الصلاة النصرانية المعروفة: «ليكن اسم الربّ مباركًا منذ الآن الى الابد». ولا ننكر ان بعض هذه الابتهالات قد كتبتها يد الوثنيين او اليهود الّا انّ ذلك لا ينفي كون بعضها من صنع المسيحيين ايضًا (٢

ثم اذا اعتبرتَ انّ في جملة من الكتابات التي ادرجها المركيز المذكور في مجموعه صورة اوّل حرف اسم المسيح باليونانية (X) فلا تشكّ انّ المسيحيين كانوا دخلوا تدمر منذ بلجت على العالم شمس النصرانية (٣

هذا ولنا برهان آخر مقنع في انتشار الدين المسيحي في تدمر منذ قرون النصرانية

---

١) راجع V. : n^os 75, 76, 78 سنة ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٥ ومرجع عبادة التدمريين الوثنيين الى الهين اي بَل (او بَعْل) وبرْحِبول ويقال لها «مَلَكْبَل وعَجلبُول» يريدون بها الشمس والقمر فيعبدونها كالهين ذكر وانثى. ومن المعلوم انّ هيكل تدمر الاعظم شُيّد لعبادة الشمس (راجع V. : n^os 93, 128). وهذا موضوع واسع يصدُّنا ضيق المكان عن الاسترسال فيه

٢) ولا يبطل حجّتنا ما قالهُ المستشرق الشهير كلرمون غانو (في المجلّد الاوّل من مجموعه العاديات الشرقية) «بانّ مثل هذه العبارات وثنيّة» واعمّا بان الوثنيين قديمًا لم يذكروا في كتاباتهم اسماء آلهتهم ليكتموا عن الامم الاجانب ما يأملونهُ من معبوداتهم من النعم او غيرةً منهم عليها» لانّ العبارات الوثنيّة في الغالب لا تخلو ممّا يُشعر بعبادة الاصنام بخلاف العبارات التي ذكرناها وهي مترّهة عن ذلك وسامية

٣) قد حاول المسيو شرودر ان يبرهن ان مدلول هذا الحرف غير ما قلنا وهو يعتمد على كتابة تدمرية تاريخها السنة التاسعة للمسيح ورد فيها كمثل هذه العلامة. بيد ان بين الكتابتين بونًا. لان الحجارة التي اكتشفها دي ڤوكويه قد حُفرت عليها صورة هذا الحرف مرتين وفي موضع غير موضع الكتابة التي ذكرها المسيو شرودر في مقالتهِ (Sitzunb. d. Preus. Akad. d. Wiss. 1884, p. 21). وعلاوة على ذلك انّ العلماء يسلّمون بان المسيحيين قد اتخذوا للدلالة على شعائر دينهم بعض اشارات وعلامات كان سبقهم اليها الوثنيّون فاستعملوها في معنى آخر. فلا نظن اذًا انّ حجّة المسيو شرودر كافية لدحض رأي المركيز دي ڤوكويه

الاولى نأخذهُ مما سبق لنا عن تجارة هذه المدينة وسعة معاملاتها مع بقية حواضر الشرق فنقول: انَّ تدمر كانت مجازًا لكل القوافل في ذهابها وايابهـا ونقطة مركزية بين مدن الفرات والاردن وآسية الصغرى. والحال انَّ النصرانية كانت اشرقت على اكثر هذه المدن حتى اقصاها وابعدها منذ مطلع الدين النصرانيّ. فكم بالاحرى يتحتَّم القول انَّها انارت اهل تدمر باشعَّتها الساطعة

فقولنا انَّ تدمر كانت مركزًا لكل قوافل الشرق لا حاجة لبيانهِ اذ يتَّضح صِدقهُ لدى القارئ من مجرَّد النظر الى خارطتنا (الواردة في الصفحة ٤٩٥)

امَّا قولنا انَّ النصرانية كانت نفذت في كثير من مدن المشرق فهو امر واقعيّ لا يستطيع انكارهُ الَّا مُكابر وفحقّ مُدبر. فان تصفَّحنا اوَّل تاريخ النصرانية المدوَّن في كتاب اعمال الرُّسل نجد هذا الدين منتشرًا منذ نشأتهِ في كل انحاء فلسطين (١ وساحل بحر الروم (٢ وفي انطاكية الكبرى حيث دُعي النصارى باسم المسيحيين (٣ ولم يزل قيها ناميًا حتى كان عدد النصارى يناهز في ايَّام تنصُّر قسطنطين الملك على مئة الف (٤. وكذا قل عن دمشق الشام وذلك بعد صعود المسيح بسنين قليلة (٥. واذا اعتبرنا مدينة الرها مع بُعدها عن مَهد النصرانية في اورشليم وجدنا اهلها مذعنين لسُنن المسيح منذ القرن الاوَّل وذلك مما اقرَّ بهِ العلماء فضلًا عمَّا جاء في التقليد. قال العلَّامة دوقال في مقدِّمة كتابهِ في نحو اللغة السريانية: «ان مدينة الرها كان الله قد حباها من العمران والتقدُّم ما جعلهـا مستعدَّة احسن استعداد لقبول الديانة الجديدة اي النصرانية فدانت لها هي وملوكها منذ القرن الاول وهذا من اثبت التقاليد (٦ ». وعلى كلّ حال فانّ النصرانيـة انتشرت في

---

١) راجع كتاب الاعمال ٨: ١، ٥–١٤، ٤٠ و ٩: ٢١

٢) اعمال الرسل ٨: ٤٠ و ١١: ١٩ الخ ٣) اعمال ١١: ٢٢–٢٦

٤) راجع دي فوكويه Syrie Centrale, p. 14 ٥) راجع الفصل التاسع من سفر الاعمال

٦) Gram. Syriaq. 1881, p. VI — هذا واننا نعلم ان الكاتب قصدَ ارتأى خلاف هذا الرأي في تاريخ مدينة الرها (J. A. 1891) الَّا ان حجتهُ غير مقنعة تنقض قول سواد المؤرخين الاقدمين. ولا يتوهَّمنَّ القارئ انَّ مستندنا في زعمنا هذا الى قصَّة الملك الاسير ورسائلهِ الى المسيح التي شاع امرها في المشرق. فانَّ لدينا غير ذلك من الادلة مما قيل عن صدق هذه الرواية او كذبها. وكذلك اننا نضرب صفحًا عن تعيين عدد النصارى في مدينة الرها أكان في القرن الاول للمسيح واخرًا او قليلًا

القرن الثاني في الرها انتشاراً عظيماً كما اثبت ذلك العلامة ساخو (١ في معرض كلامه على اقدم كتابة وُجدت في الرُّها. وقد وافقهُ على قوله الكاتب الشهير ريتان الذي يعلم تزاوتا ما كان يضمرهُ في قلبهِ من الحزازة والضغن للديانة المسيحية فقال: « انَّ ملوك الرُّها قد جاهروا بمعتقَد النصارى ودانوا لهُ رسميًّا قبل ختام القرن الثاني (٢ » . امَّا انتشار النصرانية في آسية الصغرى منذ بدء النصرانية فهو مقرَّر في كتاب الاعمال حيث يصف صاحبهُ اسفار القديس بولس وتبشيرهُ في عامَّة تلك البلاد (٣

فان كان نفوذ النصرانية وعلوّ شأنها ممَّا لا يُنكر في كل الانحاء السابق ذكرها فانَّهُ لمن المستحيل ان لا تكون تدمر نالت من خيرات الدين النصراني نصيباً طيّباً منذ بزوغ انوار هذا الدين وذلك كما قلنا لاجل موقعها كمركز اوَّل لجميع القوافل . فكيف يرضى العقل بانَّ اقاصي بلاد الشرق حظيت بما لم تحظَ بهِ تدمر وانَّها لم تستقِ من ينابيع النصرانية العَذْبة التي أَرْوت تلك البلاد الشاسعة لاسيما بعد خراب اورشليم (سنة ٧٠ ب م) اذ تفرَّقت نصارى فلسطين في كلّ المدن . وعلى ذلك قول المؤرخ غوليوم في محقّ العالمين « انَّ النصرانية نفذت مدينة تدمر باعظم سهولة حتى انَّهُ يصعب تعيين الزمن الذي جرى فيهِ هذا الامر » (٤

وهذا البرهان يزيد قوَّةً اذا اعتبرنا القرن الثاني للمسيح لمَّا زادت النصرانية امتداداً ونفوذاً وكانت رقتئذٍ تدمر اخذت ترتقي في معارج الفلاح فتستلفت اليها الابصار. كيف لا وكان يمكن النصارى ان يعيشوا في تلك المدينة بمعزل عن الاضطهادات التي لحقت بهم في غيرها من البلاد يمضون فروض ديانتهم بكلّ حرّية ودون نزاع . فلا غرو اذاً ان يكونوا تواردوا الى تدمر ونما فيها عددهم

---

١) راجع *Edessenische Inschrift*. Z D M G, 1882, p. 152

٢) راجع الجريدة الاسيويَّة J. A., 1883, p. 251 وريكندورف ZDMG, 1888, p. 409

٣) راجع ايضاً Battifol : *Revue Biblique*, 1895, p. 155 و P. de Smedt : *Revue des Quest. Hist.* 1891, p. 406 . وقد تشهد التواريخ القديمة والجامع والكتابات المكتشفة جديداً مثل كتابة القديس أبركيوس على امتداد النصرانيَّة في القرون الاولى في جميع بلاد آسية الصغرى (راجع ايضاً P. Allard : *Le Christ. et l'Empire romain*, 1897 p. 70 و Revue des deux Mondes, 15 Juil. 1896, p. 386 (٤ V. n° 74 و

اما في القرن الثالث فكان منار الدين النصراني عاليًا في تدمر وانتشرت اضواؤه بنوع عجيب لما صار الامر الى غاليانوس قيصر وامر على رأس الملإ ان يُترك النصارى وشأنهم في اقاليم مملكته. فشرعت من ثم كنائس الشرق تنمي وتنفلح وتظهر في وجه الشمس (١

ولما اخذ أذينة الثاني بعنان المُلك وباشر باستتباب دولة الرومان من ايدي اعدائهم كانت الاضطهادات قد انتهت في بلاد الشأم ولم يبلبل هذه السلامة الّا بعض تصرُّفات سيئة نحو النصارى ذكرناها في موضعها (ص: ٦٨٨ الخ). قال المسيو ألارد مؤرّخ الاضطهادات الشهير (٢ : « انّ الشعوب المذعنة لسلطة زينب لم تزل في بحابح السلام والنجاح بينما كانت دماء المسيحيين مُهراقة في رومة وجوارها ». فوفر عددهم في تدمر على عهد ملكتهم العزيزة

وبناء على كلّ ما تقدّم نقول ان سلطانة تدمر التي قد استقصت مطالعة الاسفار الكريمة وارتاحت الى النظر بالشريعة الموسويّة لم تكن لتنظر الى شريعة اعلى واكمل منها دون ان تعمل في نفسها تعاليمها السامية فتفضّل هذه على تلك. فان عقلها لم يكن اقلّ طمعًا في معرفة الحقّ من قلبها في مُلك العالَم كلّه. الّا انّ الاحوال حالت مؤقتًا دون وصولها الى ذلك العلم الخطير فاغترّت بمذهب رجُل ذي مُداجاة غواها واضلّها عن سواء السبيل. واليك تفصيل ذلك على وجه الاختصار

١٦

كان في بلاط زينب رجلٌ سميساطيّ الاصل (٣ فاق بشهرته وبُعد صيته سائر العلماء الذين قرّبتهم عندها زُلفى اسمهُ بولس. وكان هذا عالمًا نحريرًا ثاقب العقل يباري الملكة معرفةً وعلمًا وعظمةً وطَوْلًا في مالهِ. فلمّا توسّم القوم فيهِ صفاتٍ حميدة وخصالًا فريدة نادوا بهِ بطريركًا على كرسي انطاكية سنة ٢٦٠ ايام كان متولّيًا على الشرق أذينة مع زوجتهِ. وكان الناس قاطبةً بين نصارى وعَبَدة اوثان يعظّمون هذا الاسقف ويحسبونهُ رجلًا

---

١) راجع Allard : *Hist. des Persécut.* III, p., 179

٢) راجع الكتاب المذكور (p,. 205)

٣) راجع اوسايوس تاريخ الكنيسة الكتاب السابع عدد ٢٧,٣٠ — كان البطرك السادس عشر على انطاكية

جريء المُقدَم ذا عزم ردهاء ويتهيَّبون سطوتهُ وبأسهُ . امَّا بولس فما تمَّ ان ظهرت اسرار قلبه المكنونة فاشهر مقاصده وجاهر برغائبه السيئة فارفع كانة جهده ولم يألُ ان يتَّخذ السلطة المقدَّسة التي خُوِّلها كوسيلة لتحقيق آماله وتنفيذ مطامعه فجعل يُنفق هذه الاموال التي كسبها بالنفاق والتعدِّيات في لبس ثيابٍ فاخرة ذات اثمانٍ فاحشة . فكنت تراهُ يتزيَّن بالحلى والطرائف شأن الملوك او بالحري شأن ربَّات الحجال ويحذو حذو العالمين قولًا وفعلًا حتى صار عثرةً للنصارى ولعبدة الاوثان انفسهم . قيل انَّهُ امر الناس في كنيستهِ ان يصفقوا لهُ استحسانًا كما يصفَّق للممثلين في المراسح . وكان خطابهُ ابدًا ثناءً على نفسهِ او تنديدًا بآباء الكنيسة الاقدمين ولم يقف عند هذا الحدّ من السفاهة بل اتى يوم عيد الفصح بنساء قرَّظنَ في بيعة الله التراتيل العالميَّة وانشدنَ الاناشيد يمدحنهُ ويعظمنهُ

وقد بلغت هذه القبائح الى اقصى غايتها لمَّا استفزَّ الشيطان قلب بولس السميساطي وسوَّل لهُ ان يتَّخذ في خدمتهِ فتاةً من اهل الريبة اسكنها في دارهِ ولعلَّهُ استند في ذلك الى بعض الحجج الواهنة التي من شأنها التمويه على الجمهور (١ . وبعد حين ادَّت بهِ فجرتهُ الى ان يستصحب ابنتين في عنفوان الشباب كانتا تصحبانهِ حيثما ذهب (٢

فهذا الذنب الخاطف الذي دخل الخطيرة جعل على مثالهِ الاكليريكيين الذين تحت سلطتهِ فاقتصُّوا معالهُ وتخلَّقوا باخلاقهِ وافسدوا الخراف التي وُكل امرُها اليهم . وما كنَّا لنصدِّق خبر هذه الفظائع لو لم يثبتها مجمع انطاكية في رسالتهِ . وربَّما سمح فادي العلم ان تدخل مثل هذه الشكوك في كنيستهِ الطاهرة ليمحص بذلك اولياءهُ القديسين

هذا ولم يألُ بولس جهدًا في ان ينال رضى زينب . وقد ارتأى بعض المؤرِّخين اعتمادًا على قول ثيودوريتوس ان الغيرة حملت اساقفة انطاكية على اتيان ما أتى ابتغاء ان يكسب الملكة الى الدين المسيحي . لكنَّ هذا الزعم واهنٌ لا صحَّة لهُ لانَّ قلبًا فاسدًا ملطَّخًا بالرذائل والادناس لا يستطيع ان يضطرم بالايمان والغيرة على مجد الله . والأولى القول انَّ هذا المبتدع

---

١) كان بعض الاكليريكيين في قرون الكنيسة الاولى استحلُّوا السكنى مع البنات العذارى (agapètes) يزعمون انَّهم يعيشون معهنَّ عيشةً عاملةً طاهرة ويستندون بذلك الى عادة الرُّسل الاوَّلين الذين كانت تقوم بخدمتهم بعض الاخوات (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتية ٩ : ٥) . فردَّ القديس كبريانوس على مزاعم هؤلاء وبيَّن الاخطار الناجمة منها . وكذلك سفَّه القديس ايرونيموس هذا الرأي في رسالتهِ ١٨ الى استوخيوم ٢) شَنْهاتي ص ١٣٦

لم يبقَ سوى الحظوة عند زينب لكي يظلّ في كرسيهِ ثابتاً ويتمكّن من شهواتهِ الذميمة لا يقمع كبرهُ قامع ولا يردع اهواءهُ رادع

وعليهِ لم تكن سيرتهُ الّا تملّقاً ومخادعةً ومخاتلةً للملكة التي لم تملكْ بعدُ عرفت ديانةَ المسيح حقَّ معرفتها فكان يبيح لها في امر الدين والآداب ما تستبيح ويخفّف عن عاتقها ما تستثقلهُ بل كان يُعجَب بزينب اي إعجاب ويتلو تلوهـا ما استطاع ويُظهر ما تُظهر من العظمة والتجبر والسلطة والدهاء . وفي صورة الحرم الذي رشّتهُ بهِ الآباء يقال «انهُ كان على شاكلتها ما غلبتهُ الّا بعفّتها» وما فتئ يتملّق سيّدتهُ ويخاتلها حتى قلّدتهُ وظيفة الدُّوكنار (ducenarius)(١ التي كانت آثر عندهُ من الاستقية(٢

فهذا المثل الرديُّ الصادر عن اسقف نافذ الكلمة في سوريّة جماء هاج لهُ الشرق وماج . وكان من قبل في سنة ٢٦٤ قد التأم في انطاكية مجمعٌ لتبييف تعليم بولس المذكور(٣ فحُرم لاول مرّة . ولخص هذا التعليم « انَّ المسيح رجلٌ صرفٌ لم يكن لهُ من وجود قبل ظهورهِ في عالمنا . وانهُ من المحال ان يتجسّد الكلمة الذي لا يساري الله في الجوهر . اما الاقانيم الثلثة فليست هي الّا صفات في الحقّ سبحانهُ وتعالى . وقد زيّن اللهُ عزّ وجل المسيحَ بنعمٍ فريدة خصَّهُ بها دون غيرهِ فكان الحبل بهِ فائق الطبيعة صنعهُ الروح القدس في احشاء عذراء . وفي تلك الساعة حلَّ فيهِ كلمة الله . فلا حرَج اذن لو دعونا المسيح الهيًّا او الهًا نظرًا لفضائلهِ السامية التي تقرّبهُ من الله تعالى (٤ » . فلم تلبث

---

١) الدوكنار (ducenarius او ducentarius) كان يادئ بدء ضابطاً يجبي الخراج ويحكم في الدعاوي الطفيفة وقد دعي بهذا الاسم إمّا لانَّ راتبهُ كان ٢٠٠,٠٠٠ سسترس (اي اكثر من ٣٥,٠٠٠ فرنك) او لانهُ كان يجبي ليت المال اثنين عن كل مائتين ولكن في الجيل الرابع والخامس ترأس الدوكنار على مجلس شورى القوّاد العسكريين او على ادارة الشؤون اعني مجلس الولاة ويُبين انهُ نال ذلك منذ اواخر الجيل الثالث (راجع Notit. Dignit. p. 82). وبناء عليهِ فكان لبولس في ادارة شؤون سورية منصب من المناصب الاولى بعد رتبة القنصل

٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠

٣) وممن حضر هذا المجمع فريليانوس القيصري والقديس غريغوريوس العجائبي واخوهُ اثنودوروس وهيلانوس الطرسوسي وهيماناوس الاورشليمي والشمّاس اوسابيوس الذي سيم بعد مدةٍ مطرانًا على اللاذقية

٤) راجع كتاب المرطقات للقديس ابيفانيوس ٧٥ : ١ — ٣ ورسالة المجمع في تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠ وكتاب المرطقات للقديس اوغسطينوس ٥٧ الخ

هذه الاراجيف ان انتشرت وسرى شرّها في العقول فاجتمع حينئذٍ الاساقفة من بلاد بُنطس وقبادوقية وفلسطين فوجدوا بعد الفحص انَّ تعاليم المبتدع لا تختلف عن تعاليم ارتاماس او ارتامون (١ الذي كان قد حُكم عليهِ قبلاً. فحرموها باتفاق الكلمة

فلمَّا كُشف القناع عن سيّئ آراء بولس سُقِط في يدهِ وتظاهر بالتواضع والقبول للرأي السديد والايمان الصحيح ووَعدَ ان يغيّر خطتهُ ويؤمن ايمانًا مستقيمًا ولكن عقيب خمس سنوات رجع الى ضلالهِ وشرّ اعمالهِ او بالاحرى ما زال طول المدَّة ينهج منهاجهُ الاوَّل تاركًا مواعيدهُ دون ان يصلح سيرتهُ او يصحح تعليمهُ. فهرع الى انطاكية ثانيةً اسقفًا سنة ٢٦٩ اقامهُ هـذا « اللصّ الذي اتانا خراف المسيح إتلافًا » فانتصب في وسط الجماعة الكاهن ملخيون القديس وفنَّد حجج المبتدع الواهنة واطفأهُ امام الجمع بتَعداد ما عُزي اليهِ من الاضاليل والاثام فنُزل بولس عن كرسيهِ واقيم مقامهُ دُمنوس وكان ابن ديمتريانوس اسقف انطاكية سابقًا. ورغبةً في اشهار هذا الحكم وانفاذهِ بعث الجمع رسالة الى ديونيسيوس اسقف رومة وكيسوس اسقف اسكندريَّة والى عامَّة الاساقفة والكهنة والشمامسة والكنيسة الكاثوليكية المنبثَّة في كل الاقطار (٢

امَّا زينب فما انكرت على الاساقفة صنعهم ولا سلبتهم حرّيتهم بل تركتهم وشأنهم يحكمون على حميها وجايسها (٣ واكتفت بان لا تنفذ حكمهم بالقوَّة الجبريَّة. غير ان بولس ابى ان يجحد كفرهُ ويتخلَّى عن الاوقاف الكنسية اتكالاً منهُ على حزبهِ العظيم في انطاكية وحسن التفات زينب اليهِ فيما سلف. فلم يبرح هو وانصارهُ في دار الاسقفية متمتعًا بالاوقاف والاموال الى يوم تغلَّب اورليانوس على زينب وقهرها في انطاكية سنة ٢٧٢. فمثل اوانئذٍ دُمنوس امام القيصر وطلب اليهِ كمالكٍ شرعيّ ان تُردَّ لهُ المساكن التي كان احتبسها جورًا وظلمًا ذلك الهرطوقيّ المحروم فاجابهُ اورليانوس الى سؤلهِ قائلاً: « انَّ الوقف

---

١) راجع اوسابيوس الفصل المذكور. كان ارتامون هذا علَّم في رومة تعاليم كاذبة ينفي فيها الوهيَّة السيد المسيح . وكان إوانئذٍ حبر الاحبار القديس زفرينوس

٢) راجع اوسابيوس ٧ : ٢٨ — ٣٠ والقديس ابرونيموس الرسالة ٨٤ وفي الرجال العظام ٧١ والقديس اثناسيوس في الجامع — (مَنْسي الجامع المقدّسة الجمع الجديد I) على تاريخ سنة ٢٦٩ Tillemont : *Mémoires*. IV. art. 4 و Bolland : Oct. t. XII, p. 507-509

٣) اوسابيوس الموضع المذكور

الواقع عليه الحلاف انما هو مُلك المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (١

على هذا النوال سقط بولس رغماً عن الآمال التي وطّدها على زينب غير انهُ كان قد زرع في المشرق جراثيم الشيعة الآريوسية والنسطورية اللّتين مال اليهما وعلّمهما وقد ترك اشياعاً متعصّبين لتعاليمه فدُعوا بولسيّين سُمَيْساطيين (٢

بعد سرد هذه الاخبار نرى انهُ لامرٌ جدير بالانذهال كيف تركت زينب جليسها بولس واحبَّ الناس اليها يُحرَم ويُحكم عليه بالعزل والعقاب دون ان تحاول اضطهاد المسيحيين او معارضتهم في دينهم. وقد اثنى القديس اثناسيوس ثناء جميلاً عليها لسبب غير هذا وهو عدم تعصّبها لديانتها الاسرائيلية (على زعمه) قال: «ان زينب وان يهودية لم تهب ابناء ملّتها الكنائس لتكون لهم مجامع او محافل» (٣

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الى ما كنّا فيه. واستمرّت اقطاعات السلف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البدل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار

١) اوسايوس ٧ : ١٩,٣٠ . قال شبابي «ان هذا الرجل الوثني اوصلهُ تميز عقلهِ الى حلّ مسائل شتّى في الامانة المسيحية (راجع المذكور وجه ١٤٠) — فانظر كيف اوريليانوس يذكر اسقف رومة على حدةٍ واما اساقفة ايطالية فيذكرهم سويةً دون تخصيص احدٍ»

٢) راجع اوسايوس الحل المذكور . ومخايل كيكاس اخبار القسم الثالث — وقد اجمع المؤرخون على ان بولس هو اول من حرّف القوانين الرسولية — طالع مقالات دي جيستري الفصل الثاني (بين)

٣) راجع رسالة القديس اثناسيوس

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٦)